من يعزز موقف الطفولة الفلسطينية؟

أحمد محمد الحربي

● في مهرجان القدس الثالث للطفولة وهو المهرجان الذي شارك في فعالياته المتنوعة أطفال فلسطين الذين تقاطروا الى المدينة المقدسة، مدينة السلام من كل الاراضي الفلسطينية .. ليعبروا عن فرحة اللقاء، وفرحة التواصل ، وفرحة الامل ، والعطاء.. وليعبروا عن صدق المشاعر وعمق الارتباط بالأرض الفلسطينية وبقداسة الارض والرسالة الفلسطينية .. وياله من مهرجان وما أعظمه من تعبير ذلك الذي حمله الطفل الفلسطيني في ذلك المهرجان إيمانا بقداسة المدينة وحبا بها ولها ، ولرسالتها العظيمة.

وتعبيرا عن الارتباط بها، والتضحية لأجلها ، ولقداستها .. حصالة العمى، نعم حمل الطفل الفلسطيني اروع واعظم وانبل المشاعر والاحاسيس وعمقها حصالته التي لايقبل التفريط بها مهما كانت المغريات فهي حقه المشروع، وحقه الذي يعطيه كل إهتمام. ورعاية ويضع بداخلها كل احلامه ويمنحها كل حبه، يحرسها ، ويحميها ، ويعرض نفسه للمخاطر ، فداء لها.. لا.. وهي تمنيه بالحصول على مايشتهي ، ويقتني مايحلم بإقتنائه .. يرفض الانصياع لأوامر آبائه عندما يطلبون منه مجرد فتحها ،لمعرفة مابها.. ولكنه في لحظات الارتقاء، والتطلع الى ماهو أبعد وأعمق أثرا . تسامى ، وشمخ ، وتنازل عن أهم امنياته ، وأحلامه.

في الشوكلاته العجيبه ، والحلوى اللذيذة ، واللعبة الساحره، والفسحة الجميلة وحمل بين يديه حصالته العزيزة، والغالية مسرع الخطى، تملأ البسمة شفتيه في مهرجانه فداء لقداسة القدس وعظمتها قالها طفل فلسطين وبين يديه حصالته ، وهو يمشي بخطى ثابته ، في فناء القدس.. هذه حصالتي جمعت بها خمسمائة شيكل – بالعملة الاسرائيلية – إنها تبرع مني لقداسة القدس.. ما أروعها تضحية ، وما أغلاها خطوة .. أودع الطفل الفلسطيني في حصالته حبه ، وأحلامه ، وأمانيه ، وتطلعاته وسلمها للقدس .. وكان حاصل تلك الحصالات أكثر من ثلاثمائة الف دولار .. يالجلال الموقف، وروعته ، وعظمته اطفال بعمر الزهور ، يدفعون بحصالاتهم ، وكل مدخراتهم، لصالح ترميم القدس.

هل هناك أروع وأجمل وأنبل . وأشجع ، من هكذا فعل؟... لاو الله..!

يعلم المسلمون في جميع انحاء المعمورة .. وفي المقدمة منهم العرب وكل العرب .. ماذا تعني لهم القدس وقبة الصخرة روحيا وتاريخيا وثقافة وحضارة ويعلمون جسامة المخاطر، والمؤامرات التي تتعرض لها القدس من غلاة المتطرفين، الحاقدين على كل قيم المحبة والخير، والسلام والعدل.. ويسمعون اليوم إن القدس تتهددها الكثير من المخاطر بنتيجة البحث المزعوم عن هيكل مزعوم .. وإن القدس الشريف معرض للانهيار بفعل البحث المستمر تحت بنائه بل ذهبت المخاطر لتعلن عن وجودها بأن مجموعة من المتطرفين سيضربون الحرم القدسي، من الجو والدولة الاسرائيلية ترفض السماح لعمل أي ترميمات .. وعلى صراخ اليهود بأن الحرم القدسي يتهدده خطر ضربه من قبل متطرفين يهود لاتوجد اصوات اخرى ترتقي لتعلو على صوت المخاطر المهدده للقدس.. الا الصوت الفلسطيني وحتى ملف القدس تبدو أوراق لاتقوى على رفع الصوت فكيف بالمقاومة أو الحماية..؟

● وأمام المخاطر التي تهدد العرب والمسلمين في القدس –لايبدو للجنة القدس التي يرأسها الحسن الثاني ملك المملكة المغربية وانتقلت رئاستها لابنه محمدالخامس أي أثر حتى المواقف السلبية لم تجد طريقها الى اللجنة وكأن المتغيرات الحاصلة في عالم اليوم قد جعلت قضية القدس –قضية فلسطينية بحق . لاشأن للعرب او المسلمين بها .. أيعقل هذا؟الصمت وربما صرف النظر عن مايتهدد القدس من مخاطر يحمل الفلسطينين كامل المسؤولية باعتبارهم أصحاب القضية واصحاب القرار فيها .. في الوقت الذي يشعل رئيس الوزراء الاسرائيلي النار على كل الجبهات ، ويعتبر كل من يحترم القضية الفلسطينية ويساندها.. عدو للسامية.. ولايتجمع العرب وكل المسلمين للرد على الصراخ الطائش للدولة الاسرائيلية .. فهل يمكن الاكتفاء بالقول – لك الله ياقدس ولالك أحدا غيره.

● وماذا يمكن تبرير الصمت امام الاخطار المحدقة بالقدس الشريف خاصة والسباق على أشده لمعرفة تفاصيل العشرة الاوائل من كبار الرأسماليين العرب في العالم.. التي تتجاوز ثروات الواحد منهم عشرات المليارات من الدولار.. ويافخر العرب والمسلمين بهذا الانجاز التاريخي الهام في عالم المال والاعمال والكسب والادخار الذي حققه لهم اولئك الذين يتنافسون على المراكز الاولى من مراتب الثراء العالمي.. في الوقت الذي يحمل فيه اطفال فلسطين . ومن الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨م حصالاتهم الادخارية ضاربين بكل رغباتهم وتطلعاتهم ،التي يحلمون بتحقيقها من تلك الحصالات أرضا ويقدمون مدخراتهم الحبيبة الى أنفسهم تبرعا لقداسة القدس الشريف ولم يجدوا في حصالاتهم تلك غير ثلاثمائة مليار دولار تتباهي بامتلاكها عائلات عربية محدودة العدد.. السؤال هل تستطيع مبادرة اطفال فلسطين بدفع حصالاتهم ومافيها من نقود تبرعا لترميم القدس ان تحرك في ملاك المليارات من الدولارات النخوة العربية قبل الواجب الاسلامي بإستقطاع جزء زهيد من تلك المليارات لصالح القدس.

ليشتروا بها راحة البال، والعقل ، ،والضمير ، ويحسنون القيام بالواجب كما ينبغي؟

كلما قلنا عساها تنفرج..؟!

عبدالقوي منصور المغربي

لا أدري لماذا تظل وزارة الكهرباء وموظفوها على هذا النحو من الجمود واللاحراك؟!

ولماذا لايقوم مسؤولو وزارة الكهرباء بالرد على مايُنشر؟!

ولماذا أيضاً لايكلفون أنفسهم عناء توضيح الأسباب الكامنة وراء «طفي- لصي»..

أسالة كثيرة لايجد لها المرء جواباً..

كانت مؤسسته الكهرباء في الأيام الماضية تفصل التيار لمدة ساعة ربما تزيد أو تنقص.. أما النهار أو الليل..

أما في هذه الأيام فقد سارت تقطع التيار لعدة ساعات في النهار.. ثم تقوم بمعاودة الكرة ولعدة ساعات في المساء..

يا الله.. ماهذه الكهرباء؟!

لو أن مسئولي الكهرباء في بلادنا تأملوا في وضع العراق وفلسطين لوجدوا أن التيار الكهربائي لديهم أفضل منه في بلادنا.. رغم أنهما يعيشان تحت وطأة الاحتلال ومع ذلك.. ورغم كل الظروف التي يعيشونها فان التيار الكهربائي لاينقطع لديهما الا اذا تعرض للقصف فهل اصبح الاحتلال في العراق وفلسطين اكثر رحمة بالمواطنين من مسئولي وموظفي وزارة الكهرباء في بلادنا؟!

واذاكان هناك ضعف وضغط على التيار كما يقولون فلماذا يتم قطع التيار يوم الجمعة وفي وقت متأخر من الليل.. مع أنه يوم عطلة رسمية فيه تغلق المصانع والورش والدكاكين وغيرها..كما أنه عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل تكون أغلب المنازل قد اطفأت فيها الكهرباء وخلد ساكنوها للنوم.. الا يبدو الأمر محيراً؟!

لاشك من وجود أياد خفية تقوم بمثل هذه المهزلة.. وهذه الأيادي التي تعبث بالتيار الكهربائي يحملها أناس ماتت ضمائرهم.. فأصبحوا غير مبالين بمعاناة المواطن.

ولايهمهم إن تساءل الناس عن الاسباب والمسببات التي أوصلت الكهرباء في بلادنا الى ماهي عليه..

لأنهم وباختصار مهما كتب الكتاب وانتقد المنتقدون.. فسيظل الصمت وعدم الرد سمة يتفرد بها مسئولو وموظفو وزارة الكهرباء دون غيرهم..

ولعل في صمتهم حكمة الغرض منه عدم الكشف عن مصير الاموال والمبالغ الكبيرة التي يتم تحصيلها من المواطنين بالنظر الى ارتفاع سعر الكهرباء. غير مدركين انهم بصمتهم الرهيب يدخلون الشك الى قلب كل انسان بأنهم لايعملون من أجل راحة المواطن.. بل من أجل الحصول على السيارات الفخمة.. والفلل والملايين من الأموال

أما المواطن المسكين فليذهب «الى غير رجعة» فهل ياترى اصبحت الكهرباء وموظفوها سلطة بحد ذاتها؟ لا تبالي من أحد ولايهمها أحد..

رفقاً بنا- أيها السادة- فنحن اخوانكم ولسنا غرباء.. نحن مثلكم ننتمي لهذا الوطن.. بل ونحبه ونعشقه ونغار عليه اكثر منكم..

فلماذا تتجاهلوننا؟

ولماذا كلما قلنا :عساها تنفرج

قالت الأيام: هذا مبتداها

توجع الآباء من معاناة أبنائهم..

عصام حسين المطري

● تتكالب على أوليا الأمور في يمننا الحبيب فيما يتعلق برعاية أبنائهم العديد من الهموم المعنوية والمادية « إذ تزداد تلك الهموم «وخاصة المادية» حدة وتبلغ ذروتها مع موضة الغلاء الطاحن في الأسعار ، ونهم بعض التجار من ضعفاء النفوس إلى المال والاستغلال والكسب الرخيص والاصطياد في الماء العكر لزعزعة اقتصادنا الوطني .

● ويبقى ولي الأمر مكتوف اليدين أمام محاولاته العديدة لتوفير احتياجات ومتطلبات أبنائه منذ نعومة أظفارهم ، فالبعض يشتط فرحا حينما يكبر أبناؤه ظنا منه أن مسؤولياته ستتقلص إلا أنه يدرك ومنذ الوهلة الأولى أن تقدم أبنائه في السن يزيد من حجم الهموم والمسؤوليات ، فلاتذهب بعيدا ، فهذه الأمهات في كل بيت من ذوي الأسر المحدودة الدخل والتي لاتملك سنداً او«ظهراً» ، يتفاعلن مع بداية موسم القبول والتسجيل في الجامعات الحكومية بالتضرع والدعاء الى الله عزوجل بقبول أبنائهن في إحدى كليات الجامعة حتى تصبح أيام القبول في الجامعة أيام جهاد فتحرم الأم نفسها من لذيذ المنام لتقيم الليل كاملا في تهجد وضراعة لله عزوجل حتى يقبل ولدها طالبا في احدى كليات الجامعة .

● وتحث كثير من الأمهات أبناءهن على الذهاب باكرا إلى مقرات التسجيل وإعلان حالة الطوارئ والاستنفار العام إذ تجد العديد من الأمهات يقترضن المال الكافي لرسوم التسجيل ، ذلك أن بعض الأسر اليمنية باتت اليوم تعيش تحت خط الفقر ولاتمتلك توفير متطلبات واحتياجات الأبناء الضرورية ناهيك عن مواجهة مثل هذه الحالة ..

حالة التسجيل والقبول في الجامعة والتي تكلف الشيء الكثير من المال ، فما أن يبذل الآباء قصارى جهدهم في توفير مبلغ رسوم التسجيل والقبول حتى تتوجع قلوبهم وتبكي أفئدتهم وتقطر دما وألما وحسرة من جراء الواقع المر حينما يعلمون علم اليقين بأن مسألة التسجيل والقبول في الجامعة لاتخضع للمعايير التي تقرها هيئة رئاسة الجامعة بل صارت تتأثر والى حد كبير بحصر التسجيل والقبول في الجامعة على فئة وشريحة محدودة ممن لديهم – الواسطة – ومقياس المحسوبية وممن يمهرون قبولهم وتسجيلهم بالمال الكثير على طريق الرشوة وشراء الذمم الضعيفه في مخالفة للتوجيه الرئاسي والحكومي العادل الذي يمنح الفرص المتكافئة في التعليم لكافة أبناء الشعب باعتبار أن الثورة جاءت بنظام جمهوري عادل يزيل الامتيازات .

● لقد تألمت حسرة وحزنا على توجع أسرة بسبب حرمان ابنها من التعليم الجامعي في العام الفائت على الرغم أنه طالب مثابر حصل على معدل نجاح عال ، وهو اليوم يحاول مرة اخرى ظنا منه أن دولة المؤسسات الحديثة ودولة النظام والقانون لن تظلمه من حقه ونتمنى على جامعاتنا الحكومية في عموم محافظات الجمهورية توخي العدل والأمانة حتى تنتهي تلك الظاهرة السيئة المزعجة .

«مطعم» خارج الدائرة!

حسين جمال البكري

كنت سايحاً في قلب تلك العاصمة البعيدة..

قلت في نفسي إن أكل الأناناس الطازج والمانجو أكل ناقص أريد رزاً ولحماً.. دخلت مطعماً صغيراً وجلست وكم صُدمت وشعرت بالقرف حين رأيت العامل ينظف اسنانه ومنخاره «خشمه» بأصابعه بينما هو يعمل السندوشات للزبائن، حينئذٍ قررت ترك المكان.. فليس من المعقول أن اكل أوساخ وقرف فمٍ وأنف العامل على أنها توابل وبهارات!!

وقبل أن أُغادر اعترضني صاحب المطعم مستفهماً: ؟ لماذا تركت المطعم هكذا ودون سبب؟ من أغضبك؟

سألته: ألم تره؟

أجاب: من هو؟

قلت: الولد الذي يعمل السندويتشات، الذي يلعب بوسخ أنفه وأسنانه.. الى هذا الحد أنتم.!!

إن النظافة مهمة أليس كذلك؟

قال: نعم إنها تحمينا من الأمراض.

قلت: والنظافة ليست فقط هي نظافة الأرضية أو الرصيف فقط إنها نظافة جسم الانسان بالاستحمام إنها سلوك وتربية ونظام يسكن الانسان من صغره...

أنتم وبأسلوبكم هذا سوف تخسرون زبائنكم والسُياح على وجه الخصوص..!!

الناس لايأتون لمطعمكم ليأكلوا جراثيم أنوفكم وأسنانكم أو يشربوا أوساخكم!! هل هل فهمت؟

قال: أنا آسف صحيح كلامك صحيح..

سوف أطرد العامل الذي اغضبك فوراً

قلت له: لاهذا ليس حلاً

قال: إذن ماهو الحل؟

قلت: أنصحهم علمهم، على الأقل غسل أيديهم بالصابون قبل تقديم الطعام للزبائن وأن تهتم بنظافة مطبخك وطباخك في وقت واحد وخير الكلام ماقل ودل..

وأنت قد اتعبتني

وقبل أن أغادر قلت في نفسي: إن أكل حبات المانجو والأناناس الطازج أكثر نظافة وأماناً؟

أم أن لبعض أصحاب المطاعم رأياً آخر؟

القانون الدولي الإنساني خيارنا الاستراتيجي

د. عبد الغفار عفيفي الدويك *

□ .. في تطور لافت ومهم بالنسبة للقضية الفلسطينية ، جاء رأي محكمة العدل الدولية في شهر يوليو الماضي ليؤكد عدم شرعية الجدار العازل الذي شرعت إسرائيل في بنائه متحدية القانون الدولي، وطالبت المحكمة إسرائيل بتفكيك الجدار والتوقف عن بنائه ودفع تعويضات مالية عن الأضرار التي ألحقتها بالفلسطينيين. وجاء موقف الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد ذلك ليكسب هذا الرأي زخما وقوة، حيث تبنت بغالبية ١٥٠ صوتا ضد ٦وامتناع ١٠عن التصويب، قرارا يطلب من إسرائيل احترام رأي المحكمة.

أسئلة كثيرة أثارتها هذه التطورات: هل رأي المحكمة ملزم؟ وهل تلتزم إسرائيل به، وترضخ لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة؟ وفي حالة عدم التزامها ما هو موقف القانون الدولي من ذلك؟ وهل ثمة جزاءات يمكن أن تفرض على إسرائيل في هذه الحالة؟

يرى العديد من خبراء القانون الدولي أن رأي المحكمة يتمتع بالصفة الإلزامية، ومن ثم يرتب آثارا قانونية متمثلة في الجزاءات أو العقوبات التي ينص عليها القانون الدولي، هذا ما خلصت إليه الندوة التي نظمها المجلس المصري للشؤون الخارجية في مكتبة مبارك العامة بداية شهر أغسطس ، حيث أكد الدكتور صلاح عامر رئيس قسم القانون الدولي في جامعة القاهرة إلزامية هذا الرأي، لأنه صدر بناء على طلب من الجمعية العامة للأمم المتحدة، وأصبح لزاما على الأمم المتحدة بكل أجهزتها أن تمضي قدما في تنفيذ هذا القرار.

واتفق مع ذلك الدكتور علي الغتيت نائب رئيس الجمعية المصرية للقانون الدولي الذي ذهب الى أن رأي المحكمة يقترب كثيرا من فكرة الجزاء والإلزام في القانون الدولي. فيما دعا الدكتور محمد جمعة المحامي الدولي الى ضرورة توظيف هذا التطور الايجابي لصالح المفاوض الفلسطيني.

وبصفة عامة، إذا كان الرأي الاستشاري بطبيعته صادرا بناء على طلب من الجمعية العامة أو بتفويض منها فإن رأيها ملزم للجهاز الذي طلب الفتوى، كما أنه ملزم لكل أجهزة الأمم المتحدة، وهنا يجب على الجمعية ألا تتخلى عن دورها، وبوسعها إذا أصرت إسرائيل على تحدي الأمم المتحدة أن تسعى الى مراجعة موقف إسرائيل من قرارات الأمم المتحدة واتخاذ موقف ثابت من رفضها لهذه القرارات. كما ان الرأي الاستشاري يصبح عادة خطأ رسميا للأجهزة التي طلبته، ومثال ذلك الرأي الذي طلبه مجلس الأمن من محكمة العدل الدولية بشأن اقليم ناميبيا عام ١٩٧١ الذي صار أساسا قويا لتحصين ناميبيا ومستقبلها وثرواتها ضد الاعتداء عليها من جنوب أفريقيا.

إضافة الى ما سبق، فإن رأي محكمة العدل الدولية يستمد أهميته من عدة اعتبارات :

أولها : أنه يعد نصرا سياسيا، خاصة بعد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي يطالب إسرائيل بالالتزام بهذا الرأي، وحسب رأي كثير من الخبراء فإن هذا القرار قد يكون الأهم منذ عام ١٩٤٧ بالنسبة للقضية الفلسطينية لما أثاره من قضايا تتعلق بعدم شرعية الإجراءات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية، والمطالبة بإزالة الجدار وإنهاء الاحتلال، مما يؤكد أن جميع محاولات إسرائيل لطمس الحقائق وإنكارها على مدى العقود الماضية قد باءت بالفشل.

ثانيها : أن هذا الرأي أكد أهمية القانون الدولي الإنساني باعتباره أحد الضمانات المهمة والتي يمكن التعويل عليها في ضمان الحقوق بالنسبة للشعب الفلسطيني، وهذا بدوره يتطلب العمل على توثيق الانتهاكات الخطيرة للاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فوفق اتفاقيات جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ المتعلقة بحماية المدنيين في أوقات الحرب تشمل هذه الانتهاكات: القتل العمد، التعذيب، المعاملة اللاإنسانية، الاستيلاء على الممتلكات، الهجوم على الآثار التاريخية، سرقة المياه، إلخ.

ثالثها: أن هذا الرأي يأتي في نفس اتجاه التحول الدولي ضد إسرائيل، ففي نهاية العام الماضي أكد استطلاع المفوضية الأوروبية أن غالبية الشعوب الأوروبية ترى في إسرائيل مصدر التهديد الرئيسي للأمن والسلم الدوليين.

إن المهم في المرحلة المقبلة هو العمل على تفعيل رأي المحكمة، وتنفيذ قرار الجمعية العامة، لأن الحصول على حكم أو قرار من منظمة دولية دون الاستمرار فيه والاستفادة منه هو مضيعة للوقت والعودة الى نقطة البداية، لقد أكد رأي محكمة العدل أهمية آلية الاتحاد من أجل السلام داخل الجمعية العامة ولكن ما يخشى منه أن يعد رأي المحكمة إنجازا ونصرا نتوقف أمامه دون الإستفادة منه، بينما تتحرك إسرائيل بمساعدة الولايات المتحدة لتحييد هذا الإنجاز الفلسطيني والعربي، كما نجحت من قبل في إلغاء قرار الجمعية العامة ١٩٧٥ الذي كان يعتبر الصهيونية حركة عنصرية وأعتقد أن التحرك الإسرائيلي قد بدأ بالفعل داخل الكونجوس الأمريكي مستغلا بدء حملة الإنتخابات الرئاسية.

وهذا يفرض بدوره مسؤولية كبيرة على الدول العربية في مواجهة مثل هذه المخططات، فإن كان العرب قد حققوا نصرا في معركة قانونية مع إسرائيل، فإنهم مطالبون الآن بتفعيل هذا النصر، والبناء عليه لدعم المفاوض الفلسطيني والعربي، وأحسب أن هذه المقترحات يمكن أن تسهم في تحقيق ذلك:

– أن ينشط الإعلام العربي على كل الساحات الدولية خاصة الساحتين الأمريكية والبريطانية، لتبصير العالم بالجرائم الإسرائيلية، ويكتسب هذا أهميته إذا ما علمنا أن الأجيال الجديدة في هذه الدول تجهل حقائق الصراع العربي الإسرائيلي وتستسلم لمقولات الدعاية الصهيونية والتي تصور العرب بالأشرار والإرهابيين، وإذا كانت إسرائيل قد نجحت في استغلال عقدة الذنب لدى ألمانيا، فإنه يمكن للعرب ايجاد عقدة الذنب لدى بريطانيا باعتبارها المسؤولة ماديا وأخلاقيا عن مأساة الشعب الفلسطيني.

– تضافر الجهود الرسمية مع الجهود غير الرسمية "مؤسسات المجتمع المدني، والجمعيات الأهلية" لتفعيل رأي المحكمة، وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، وأحسب أن المجلس المصري للشؤون الخارجية بما يمتلكه من خبرات وكفاءات يمكن أن يقوم بهذا الدور.

– رفع دعاوى ضد إسرائيل بخاصة من جانب الفلسطينيين الذين تنتزع أراضيهم وتتم مصادرتها من أجل بناء الجدار العازل، باعتبار أن ذلك يمكن أن يجد سندا وقوة له في مبادئ القانون الدولي الإنساني. وأزعم أن هذا هو الخيار الأكثر اتساعا ورحابة ودقة وتحديدا، خاصة أنه حتما سيصل الى آلية تفرض احترام الشرعية المنتهكة في ظل هذا الصلف الأمريكي والانحياز الصارخ لإسرائيل .

إن المواطن العربي البسيط يدعم فكرة وخيار القانون الدولي في ظل هذه الحالة العربية المتردية، وعلى جمعيات القانون الدولي التحرك في الاتجاه. ومع ذلك يبقى السؤال: هل يظل القانون الدولي الإنساني هو البديل أم يلحق هو الآخر بخيار السلام الإستراتيجي؟.

* كاتب عربي

«عمرو» وكلية الطب.. وخيبة الأمل..!

سامي الحداد

«عمرو» شاب مهندس.. خلوق.. مثابر.. طموح.. أعرفه منذ الصغر استهواه الطب واستحوذ على مشاعره.. اتسمت نتائجه في المراحل الدراسية المختلفة بالتفوق.. وما أن وصل الى نهاية المرحلة الثانوية «الثالث الثانوي» استنفر قواه واستعد للوثوب لتلك .. والتي سينطلق من خلالها لمعانقة أمانيه وطموحاته المستقبلية.. فانكب على المنهج الدراسي في خلوته بإرادة تشتعل وهمة لاتذوب. ليخرج بعد الامتحانات من خلوته أشبه بالكهل.. كاسف الوجه.. متجعد الملامح.. كث اللحية من أثر الجهد الذي برا جسده والسهر الذي عرك عينيه..

● وبإعلان نتائج الثانوية العامة حصد «عمرو» غلة أتعابه وثمار اجتهاده.. وحصل على «٨٦٪» واستقبل تلك النتيجة فرحاً جذلاً.. ظاناً أنه قد حقق بذلك ماكان يطمح اليه ويتوثب.. وعند افتتاح ابواب التسجيل في جامعة تعز حث الخطى في السير باتجاه «كلية الطب» غاية المنى ومرمى القصد.. فاستكمل اجراءات التسجيل .. ولم يخطر في مخيلته بان هناك مهمة أخرى وعائقاً جديدا ينبغي عليه تجاوزه وتخطيه.. إلا أنه بذل كل مافي وسعه للاقاة من يهوى ويحب.. فنثر كل ماتختزنه القريحة في ورقة الاجابة «لامتحانات القبول» وظل يتردد على الجامعة يترقب النتيجة بصبر وشوق يضارع شوق الأب الذي يترقب مولوده البكر...

● وبإعلان نتيجة القبول.. حدث مالم يكن متوقعا.. اذ هبطت عليه تلك النتيجة هبوط النيزك القادم من الفضاء، فخارت من جرائها قواه.. وارتعشت مفاصله وشاءت الصدف أن ألاقيه في ذلك اليوم في مدخل الحارة عائداً بخطى متثاقلة وسير بطيء بعد أن التهمت الصدمة قواه وأمادت كيانه .. وصهرت احلامه وأمانيه فأجاب عند سؤالي حيال النتيجة بالفاظ غير مفهومة مفادها الألم والتوجع و الحزن والانكسار. تضمنت بأن نتيجة القبول اسفرت عن نجاح «٤٥» طالبة و«٥» طلاب فقط فاستنفرت لدى مشاعر الدهشة الاستغراب من ذلك التراجع في القدرة الاستيعابية للطلاب أمام المد الكاسح للطالبات، وشعرت عندها بأن أحلام «عمرو» قد أُغتيلت.. وطموحه قد سحق مثلما تسحق مطارق الحديد أنية الفخار.

● إزاء خيبة الأمل التي مُني بها«عمرو» وأمثال «عمرو» ممن أوصدت ابواب الجامعات الحكومية أبوابها في وجوههم فاجتثت رغباتهم واقتلعت ميولهم وحالت دون تمكنهم من الالتحاق «بالتخصص» الذي يتطلعون إليه كان لابد من تجنيب أمثال أولئك الذين يتسمون بتوقد الذهن وتوثب الرغبة والميول.. من السقوط في مهاوي اليأس والاحباط ووضع المعالجات الصائبة الضامنة للاستفادة من طاقاتهم وقدراتهم المخزونة والتي ستثمر بلا شك نتائج ايجابية في الواقع العملي وبعكس مايمكن أن يكونوا عليه اذا ما أقحموا ودفعوا للالتحاق بتخصصات تتناقض مع رغباتهم وتتصادم مع ميولهم .

● وتأسياً عليه وإزاء تلك المعالجات التي كانت سبباً في هذا الوضع والمتعلقة بتلك الاجراءات المتخذة من قبل الجامعات الحكومية والمتصلة بنسبة القبول.. التي حددت بـ٧٠٪ كمعالجة للسيطرة على معضلة «مدخلات ومخرجات التعليم» فانها وبوجهة نظري قد شكلت عبئاً اقتصادياً واجتماعياً جديداً..بسبب تراكم عدد غير المقبولين في الجامعات وانتفاخ جيش انصاف المؤهلين التي تتسع رقعته وتزداد..

● كما أن إضافة شرط جديد وإجراء آخر يتمثل بامتحان القبول وفي ظل غياب البدائل المتاحة أمام من لم يحالفهم الحظ لاجتياز الامتحان وممن حصلوا على معدلات مرتفعة في امتحانات الثانوية العامة قد أضحى بأشبه من يحاول وضع سيفين في غمد.. ناهيك عن كونه قد دفع بمخرجات التعليم الثانوي الى موقع يصعب عليهم تجاوزه ويتعذر تخطيه.

● أضف الى ذلك واذاما افترضنا جدلاً.. بان امتحانات القبول تلك قد أسهمت في السيطرة على المخرجات التعليمية الأكاديمية الزائدة عن احتياجات سوق العمل فماذا بشأن الجامعات الخاصة المتصاعدة عددياً.. ونظام القبول فيها يتيح لأي نسبة نجاح في الثانوية الالتحاق بها وفي اي تخصص... لينتج عن ذلك ويتمخض كم كبير من المخرجات الأكاديمية بتخصصاتها المختلفة تفترش رصيف البطالة.. كما أسفرت عن وضع كانت تخشاه الجامعات الحكومية وتتحاشاه..

ولذا كان لزاماً فيما يتعلق بالتعامل مع مضلة مخرجات التعليم ومحدودية القدرة الاستيعابية للجامعات الحكومية الأخذ بمعالجات موضوعية وخطوات عملية تسبر أغوار هذا الوضع وتسفر عن الخروج بوسائل واجراءات كفيلة بخلق وضع يتوازن فيه النمو الاقتصادي مع النمو في مخرجات التعليم.. كحل أمثل لايكتنفه إجحاف ولاتفريط ولايصاحبه غبن أوتعسف..